



### إعدام سيد قطب

- أنا نادم على فشل عملية نسف القناطر الخيرية .
- الحكومة تريد القضاء على شخصى لأننى مفكر إسلامى كبير .
- انتظروا الثورة فى مصر والعالمين العربى والإسلامى بعد إعدامى .
- آخر طلباتى : كوب ماء وأداء صلاة الفجر .
- القيد الحديدى فى يدى ويده من السجن الحربى حتى سجن الاستئناف .
- لماذا حوكم عسكريا ولم يحاكم أمام محكمة مدنية؟! .

## إعدام سيد قطب

ثلاث سيارات ملاكى صغيرة تتدلى على نوافذها الجانبية ستائر سوداء، اخترقت شارع صلاح سالم بسرعة ، تحرسها بعض سيارات حراسة وجنود يحملون مدافع رشاشة .. اتجهت مباشرة من السجن الحربى بمدينة نصر ، إلى سجن الاستئناف خلف مديرية أمن القاهرة .

كنت أجلس فى السيارة الأولى بجوارى سيد قطب ، يدى اليمنى مقيدة فى يده اليسرى بسلاسل حديدية .. وفى الثانية محمد يوسف هواش نائب سيد قطب .. وفى الثالثة عبد الفتاح إسماعيل المسئول عن الإتصالات الخارجية بجماعة الإخوان المسلمين .. والثلاثة محكوم عليهم بالإعدام .

وشق موكب الموت شوارع القاهرة بسرعة كبيرة .. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة مساء .. وسيد قطب الذى على يمينى كان صامتا لا يتكلم .. لم يكن يعلم أن حكم الإعدام سينفذ فيه بعد ساعات ، وبالتحديد بعد صلاة الفجر .. ولكن يبدو أنه كان يشعر .

تفحصت وجهه جيدا وأنا أتسلمه من السجن الحربى ، كان يرتدى بدلة داكنة اللون تحتها قميص أبيض ، ولم يكن قد ارتدى بعد بدلة الإعدام الحمراء .. لم يكن مجهدا أو مرهقا أو تبذوا عليه أية آثار للتعذيب كما يزعمون .. ولم يكن يلبس طربوشه التقليدى .

وقطع سيد قطب لحظات الصمت القصيرة الرهيبة بقوله : للأسف الشديد ، لم ينجحوا فى تنفيذ عملية نسف القناطر الخيرية ، وكانت هذه هى النهاية .

لم أشعر فى كلماته بنبرة ندم أو أسى ، وإنما بتشف وحسرة أن القناطر لم تدمر .. وساد التوتر محل الصمت ، وبدأ سيد قطب ينتقل من موضوع لموضوع دون ترتيب أو تركيز .. كرر أكثر من مرة أن مشكلته فى عقله لأنه مفكر وكاتب إسلامى كبير ، وأن الحكومة لا تملك إلا أن تقضى على العقل الإسلامى الكبير حتى تنفرد بأعمالها ضد الإسلام حسب تصوره .

وكان سيد قطب يتصور أن تدمير القناطر وإغراق نصف مصر هو بداية الثورة الإسلامية لأنها إنذار شديد اللهجة للناس لينتبهوا للخطايا والكفر الذى يعم البلاد ، وأن هذه الأرض يجب أن تطهر بإغراق منطقة الدلتا . وبعد الوصول إلى سجن الاستئناف فهم سيد قطب من الإجراءات داخل السجن ، أن حبل المشنقة فى انتظاره بعد لحظات .. فازداد توتره حتى وصل إلى حد الإنهيار ، وظل يردد أنه مفكر إسلامى ، وأن الحكومة لم تجد سبيلا للقضاء على أفكاره إلا بإعدامه .

ومضت اللحظات الأخيرة ببطء شديد ، كنت أقف خارج غرفة الإعدام فى حضور مأمور السجن وأحد وكلاء النيابة وبعض الضباط والجنود .. واتخذت مراسم تنفيذ الحكم ، وخلعوا عن سيد قطب بدلته وألبس البدلة الحمراء .. سئل إن كان يطلب شيئاً ، فطلب كوب ماء ، شربه ، وأدى صلاة الفجر .. ثم دخل غرفة الإعدام وتم تنفيذ الحكم .

وبعد ٢٥ دقيقة ، تكررت نفس المراسم مع عبد الفتاح عبده إسماعيل ، الذى أصيب بحالة هستيرية شديدة ، ظل يردد كلاماً غير مفهوم ، ووصل إلى أقصى حالات الإنهيار ، لدرجة أن الحراس عندما حملوه إلى غرفة الإعدام ، صرخ صرخة عالية ، وبعدها صمت كل شئ .

وبعد ٢٥ دقيقة أخرى ، تكررت المراسم للمرة الأخيرة مع يوسف هواش ، الذى أصيب بحالة هستيرية أشد وطأة ، وظل يردد عبارة " لقد أبلغتهم أنهم يحكمون بغير ما أنزل الله .. اللهم فأشهد " ، واقتيد إلى حبل المشنقة يجر ساقيه .

وفى السابعة صباحا انتهت عملية إعدام قادة مؤامرة الإخوان سنة ٦٥ .. ورفض نووهم استلام الجثث الثلاث ، وكانوا متصورين أن الرفض سيؤدى إلى تعاطف الرأى العام معهم ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. ودفنت الجثث الثلاث فى مقابر الفقراء بالقرب من الإمام الشافعى .

\*\*\*

١٩٦٥ ، خرج سيد قطب من السجن وعاد إليه . كان عاما صعبا لعبد الناصر .. جزء كبير من جيشه سحبته الرمال الناعمة فى اليمن .. المشير عامر أطبق قبضته على الجيش وعلى عبد الناصر ، وبدأت لعبة إطاحة الرؤوس بين جبابرة مراكز القوى . سقط سوكارنو ونكروما ، وبقي عبد الناصر .. وحدد الرئيس الأمريكى جونسون هدفه الإستراتيجى رقم واحد فى إسقاط عبد الناصر .. والقضاء على تيارات المد الثورى التى فجرها فى المنطقة .. وفى هذا الجو المشيع بالتوتر والقلق ، بدأ الإخوان يحلمون بإعادة الكرة والقضاء على عبد الناصر واسترداد العرش الذى اقترب منهم كثيرا ، وسرقه ناصر والثوار فى عام ١٩٥٢ .

وكان سيد قطب هو المخطط والرأس المدبر وصاحب فتاوى التكفير والقصاص من المجتمع .

بداية المؤامرة كانت عام ١٩٦١ ، فى مستشفى ليمان طره ، وكان سيد قطب يقضى عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة لمدة ١٥ سنة فى قضية ١٩٥٤ ، ونظرا لظروفه الصحية ، حيث كان مصابا بمرض صدرى تم نقله من الليمان إلى المستشفى .. وبدأ يكتب رسائل حول فكر التكفير ، كل رسالة حوالى ٢٠ صفحة يقوم بتدريسها للموجودين معه ، ومن أوائل الذين اعتنقوا فكر التكفير مصطفى كامل حسين ، ويوسف كمال قنعر .. وبدأ الإثنان ينقلان فكر سيد قطب لباقي المسجونين ، وانتشرت أفكاره بسرعة داخل السجن .

ولم تخرج أفكار سيد قطب عن كتاب أبو الأعلى الموددى مؤسس الجماعة الإسلامية فى الهند فى الأربعينات ، وصاحب دعوة إقامة دولة

إسلامية تطيح بالطواغيت والكفرة الذين ملأوا الأرض فسادا وطفيانا .. وأخذ سيد قطب نفس المنهج والأسلوب ، واعتبر حالة الهند البوذية لا تختلف عن حالة مصر الإسلامية .. واعتبر المجتمع كافرا حكاما ومحكومين . وانتقلت أفكار التكفير من طرة إلى سجن الواحات المعتقل فيه أعضاء مكتب الإرشاد ، ومن بينهم عمر التلمساني وحامد أبو النصر وعبد العزيز عطية ومصطفى مشهور ، اجتمع مكتب الإرشاد فى السجن ، وأرسلوا رسالة عاجلة لسيد قطب أبلغوه فيها أن نشر هذه الأفكار سوف يؤدي إلى تفتت الإخوان ونشر الفتن بينهم ، وحدث انقسامات لا داعى لها فى تلك الظروف الصعبة .

لم يكن المرشد العام فى ذلك الوقت حسن الهضيبى فى السجن ، بل كان خارجه ، واتخذ موقفا بإجازة أفكار سيد قطب ونشرها وتعليمها للإخوان داخل السجن وخارجها .. وأصبح المرشد المطلق السراح فى اتجاه ، وأعضاء مكتب الإرشاد المسجونين فى اتجاه آخر .

وحدث ما توقعه مكتب الإرشاد .. بدأ بعض الإخوان يراجعون مواقفهم ويعدلون عن أفكار التكفير خصوصا مصطفى كامل حسين ويوسف كمال قنعر ، وبدأ فى التصدى لسيد قطب وأفكاره ، وناقشا الإخوان القدامى فى تلك الأفكار ، وحالا دون انتشارها فى السجن بسرعة كبيرة .

كان هذا هو السبب المباشر الذى جعل سيد قطب يبدأ فى تسريب رسائله خارج السجن ليواجه المقاومة القوية لأفكاره وراء الأسوار ، واستخدم شقيقته حميدة قطب فى تسليم الرسائل وتوصيلها إلى زينب الغزالي التى جمعتها تمهيدا لتوزيعها .

وعندما ذهبت زينب الغزالي إلى حسن الهضيبى تستأذنه فى الاتصال بسيد قطب لتحصل منه على المنهج العلمى والفقهى لمجموعات الإخوان خارج السجن ، سلمها الهضيبى نسخة ثانية من رسائل سيد قطب ، وطلب منها أن تقرأها لأنها ستجدد الدعوة وتعيد إحياءها من جديد .. وطبعت هذه الرسائل فى كتاب " معالم فى الطريق " .

كان سيد قطب يمهد الطريق لإعادة إحياء نشاط الإخوان وعودة جهازهم السرى وهو داخل مستشفى السجن ، انتظارا لانقضاء مدة العقوبة أو صدور قرار بالإفراج عنه ، وبالفعل صدر قرار بالإفراج لأسباب صحية قبل انقضاء مدة العقوبة .

وأخطر ما فعله سيد قطب بعد الإفراج عنه هو تخطيطه لمؤامرة قلب نظام الحكم التى مهد السبيل لها وهو فى السجن .. وعندما بدأت عملية ضبط الإخوان سنة ١٩٦٥ ، كان سيد قطب يقضى إجازة الصيف فى إحدى العيش برأس البر .

ذهب إليه أعضاء التنظيم السرى وأخطروه أن الأجهزة الأمنية شنت حملة اعتقالات واسعة ضد أعضاء التنظيم السرى ، وهم يتدربون على السلاح فى بعض المعسكرات وعلى رأسها معسكر بلطيم ..  
وسأله : ماذا نفعل !؟

فى ذلك اليوم أصدر سيد قطب فتواه الخطيرة بنسف القناطر الخيرية .. لأنه سيترتب على ذلك إغراق الدلتا بالكامل ، وأن هذه أرض كفر يجب تطهيرها .. ولو حدث ذلك سوف تنتشل الحكومة بهذه الكارثة ، ولا تستطيع استكمال حملة الاعتقالات ضد الإخوان المسلمين .

ومن حسن الحظ أن مجموعة نسف القناطر ، ضبطت قبل تنفيذ العملية، بعد أن نجحوا فى الحصول على المتفجرات وأعدوا خطة نسف القناطر .. وضبطت معهم الأسلحة والمتفجرات التى كانت معدة لذلك .

وبخلاف ذلك تسلل تنظيم ٦٥ ، إلى القوات المسلحة ، وأعتمدوا على الشباب من ضباط الاحتياط من خريجي الجامعات الذين يتم تجنيدهم ضباطا .. ونجحوا بالفعل فى تجنيد مجموعة منهم .. ونجحوا فى التسلل إلى الشرطة ، وتمكن على جريشة العضو الإخوانى البارز من الإيقاع بضابط شرطة اسمه سيد صلاح الدين كان يعمل فى حرس الجامعة ، ليحصل منه على تقارير حول الحركة السياسية داخل الجامعة ، واستجاب لهم سيد صلاح فى النواحي الدينية ، ولم يستجب لهم تنظيميا إلى أن تم ضبطه مع مجموعة ٦٥ .

وبعد أيام قليلة اعتقل سيد قطب ، وذهب إلى سجن القلعة تمهيدا لترحيله إلى السجن الحربى ، لأنه كان معتقلا بناء على طلب من المباحث الجنائية العسكرية .. وذهبت إليه فى سجن القلعة أنا والعقيد محمود مراد ، وجلسنا معه لمدة ساعة ونصف الساعة قبل ترحيله .

كان يرتدى بدلة شيك جدا ، وملابسه تنم عن ذوقه الرفيع .. لم يكن ملتحميا ، وكانت ذقنه خفيفة جدا ، وحضر إلينا فى غرفة الضابط المسئول عن استقبال المسجونين .. وكنا شغوفين للحصول على أكبر قدر من المعلومات .

لم يدل سيد قطب بأية اعترافات ، وكان ينكر كل شئ ، ولم تكن لدينا معلومات نواجهه بها ، وكان تركيزه على أنه رجل مريض ومفكر إسلامى ، ولا يصح أن يحارب الإسلام فى صورته .. وكان يتصور أن اعتقاله سيخلق ردود أفعال واسعة النطاق محليا وعربيا وعالميا .. لدرجة أنه قال لنا : إن نشر خبر اعتقاله فى الصحف المصرية سوف يؤدى إلى ثورة فى مصر والعالمين العربى والإسلامى ..

هذه الأوهام هى التى قتلت سيد قطب ، فقد تصور أنه زعيم سياسى له دور مؤثر فى رأى العام ، وقاده هذا الوهم إلى تجاوز دوره كداعية إسلامى إلى قائد سياسى يسعى لكرسى الحكم .. من الناحية الإسلامية كان سيد قطب مفكرا مرموقا ، خصوصا كتابه " فى ظلال القرآن " الذى يعتبر مرجعا إسلاميا عظيما ، ولكن على المستوى الجماهيرى لم تكن له شعبية .. بدليل أنه اعتقل عامى ٥٤ و ٦٥ ، وأعدم سنة ٦٦ ، ولم تقم الثورة ، ولم تخرج مظاهرة واحدة .

فى هذا التحقيق الودى قبل تسليمه للسجن الحربى تجاهل سيد قطب كل الأسماء المعروفة فى تنظيم ٦٥ ، وتحدث فقط عن علاقته بقدامى الإخوان مثل صلاح شادى وعمر التلمسانى وحسن الهضيبى ، وابتعد تماما عن ذكر أسماء القيادات الجديدة .

وأنكر تماما معرفته بكل من عبد الفتاح عبده إسماعيل وعلى ع شماوى .. ولكنه فى السجن الحربى أعطى إعترافات كاملة عن التنظيم .. واعترف أمام المحكمة بالأسلحة التى تم تهريبها للإخوان عن طريق السودان ، غير

أنه قال أنه كان قد طلبها منذ ثلاث سنوات ، ولكنها وصلت متأخرة عن موعدها .

وكان الغرض من هذه التنظيمات المسلحة السعى إلى العنف والاعتيالات والتدريب على السلاح والمصارعة ، وإقامة معسكرات فى بلطيم والحصول على تمويل من الإخوان المقيمين فى الخارج .

ومن المؤكد أن جمال عبد الناصر قد استفزه أن يقود سيد قطب هذا التنظيم قبل أقل من سنة من الإفراج عنه .. وأنه أصبح المرشد الحقيقى للإخوان ، خصوصا الأجيال الجديدة التى شربت عصارة التكفير قبل أن يخرج من السجن ، وكان هؤلاء الشباب متحمسين جدا لإعادة " أمجاد الماضى " وإحياء نشاط الجهاز السرى تحت قيادة معلمهم وقائدهم الجديد سيد قطب .

ولم يكتف أولئك الشبان بتكفير النظام القائم وتكفير الحاكم والخروج عليه ، وإنما أفتوا بجواز قتله ، ومحاربة الدولة الكافرة واعتبار الخدمة فى قواتها مكروها يجب تفاديه ، فلا تجوز الطاعة فى الكفر ، لأن الطاعة ليست واجبة إلا للإمام .

\*\*\*

ورسائل سيد قطب " معالم فى الطريق " هى التى قادته لحبل المشنقة ، فلم يكتف فيها ببث كل سموم الفتنة والتكفير ، وإنما تحولت الأفكار إلى طلقات رصاص ، والكلمات إلى أسلحة بيضاء .

يقول سيد قطب فى رسالته : " ليس الطريق أن تخلص الأرض من يد طاغوت رومانى أو طاغوت فارسى إلى يد طاغوت عربى .. فالطاغوت كله طاغوت ، إن الأرض لله ، وليس الطريق أن يتحرر الناس فى هذه الأرض من طاغوت إلى طاغوت .. إن الناس عبيد لله وحده .. لا حاكمية إلا لله .. ولا شريعة إلا من الله .. ولا سلطان لأحد على أحد .. وهذا هو الطريق " .

ومثل هذه الدعوة تجنح إلى النزعة الخيالية التخريبية .. ووفقا للوثيقة التى أعدها الشيخ عبد اللطيف السبكي رئيس لجنة الفتوى بالأزهر فى ذلك الوقت ، فإنها دعوة للفوضى والقتل والتخريب لأن سيد قطب ينكر وجود الحكام ويضع المعالم فى الطريق للخروج على كل حاكم فى الدنيا .. رغم



أن الإسلام يعترف بالحكام المسلمين ، ويفرض لهم حق الطاعة ، ويفرض عليهم العدل .

ويقول سيد قطب : " إن الجهاد ضرورة للدعوة إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان ، تحريراً جاداً يواجه الواقع الفعلى ، سواء كان الوطن الإسلامى آمناً أم مهدداً من جيرانه ، فالإسلام حين يسعى إلى السلم لا يقصد هذا السلم الرخيص ، وهو مجرد أن يؤمن الرقعة الخاصة التى يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية .

فهذه دعوة إلى اشتعال الحروب مع الغير ، ولو كان الوطن الإسلامى آمناً ، مع أن نصوص القرآن والسنة وتوجيهات الإسلام عادة لا تدعو إلى مثل هذا الانفعال الغاشم ، وإنما تعتبر الحروب وسيلة علاجية لاستقرار الحياة وقمع الفتن وشفق طريق الدعوة إذا وقف فى طريقها خصوم يعاندونها ويعوقونها .

والإسلام يدعو إلى المسالمة مع من يسالمه .. ولكن صاحب معالم فى الطريق يفهم غير ذلك ، ويعمد إلى بعض الكتب ، وينقل منها كلاماً يتطابق مع نزعته ويتخذ من ذلك دليلاً على أن الإسلام دين المهاجمات لكل طائفة ولكل وطن .. فى كل حين .

\*\*\*

لماذا ذهب سيد قطب إلى السجن الحربى وشمس بدران وحوكم أمام محكمة عسكرية؟! .

إسماعيل الهضيبي كان أول الخيط فى القضية .. كان محامياً ولم يكن ضالعا فى التنظيم السرى ، ولا مؤيداً ولا محبذاً لهذه الفكرة .. وأثناء التحقيق معه أشار إلى خلية أغلبهم طيارون فى شركة مصر للطيران ، على رأسهم طيار اسمه يحيى أحمد حسين ، وطيار آخر اسمه محمد حسين الغنم ، وثالث اسمه ضياء الدين الطوبجى .. وقمنا بإعداد مذكرة وطلبنا اعتقال الطيارين الثلاثة .

اكتشفنا فى أول يوم أن يحيى أحمد حسين ركب طائرة وهرب إلى السودان قبل اعتقاله بساعتين .. وتم ضبط الاثنين الآخرين فى تنظيم ٦٥ .

وأدليا باعترافات كاملة حول محاولات تجنيد عناصر أخرى من شركة مصر للطيران لنسف مطار القاهرة بالكامل .

وبدأت عملية الاعتقال تتوسع .. فقد كان التصور فى الأيام الأولى أن العدد لن يتجاوز ١٠٠ معتقل .. ولكن العدد تجاوز ذلك بكثير فانتقلنا إلى سجن أبوزعبل لوجود مبنى جديد لم يستغل بعد .. وكان يشرف على التحقيقات اللواء أحمد رشدى ومعه ١٧ ضابطا .

كان من بين المتهمين شخص اسمه مدحت فخرى ابن خالة حسين توفيق أحد المتهمين فى قضية أمين عثمان .. وتم ضبط مدحت فى محطة الرمل بالإسكندرية أثناء استلامه قنابل وأسلحة من أحد جنود القوات المسلحة ، واعترف مدحت بأن حسين توفيق شكل تنظيما يسعى إلى قلب نظام الحكم، وأن النظام رفع شعار الوحدة مع السودان وليس سوريا .

واعترف حسين توفيق بوجود تنظيم إخوانى قوى داخل القوات المسلحة، وقال أن حلقة الوصل بين الإخوان والجيش شخص يدعى أحمد قبودان ، وكان موظفا فى إحدى شركات البترول " موبيل أويل " فى إحدى العمارات بشارع النيل .. وعلى الفور تحركت الشرطة العسكرية ، واعتقلت المجموعة المتصلة بحسين توفيق ، وعلى رأسهم سيد قطب ، الذى كان يلعب دور المرشد الحقيقى للإخوان بعد خروجه من السجن .

وعقد اجتماع فى ذلك الوقت ضم المشير عامر وزير الحربية ، وزكريا محيى الدين وزير الداخلية ، وحسن خليل المسئول عن المباحث الجنائية ، وحسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة لتنسيق العمل بين الفريقين .

أشاع الإخوان فيما بعد أن هذه اللجنة اتخذت قرار بالقضاء على الإخوان المسلمين باعتبارهم مسلمين ، وليس باعتبارهم تنظيما سريا يسعى لقلب نظام الحكم .. ولكن هذا لم يحدث بالطبع ، وكان الهدف الوحيد هو الوصول إلى إبعاد هذا النشاط بالكامل ومعرفة ما إذا كان قد نجح فى اختراق القوات المسلحة أم لا ..

ونتيجة التنسيق بين الفريقين تم كشف تنظيم ٦٥ بكل أبعاده .. وأعدم سيد قطب ودفع ثمن جريمته .